

المنزل الروماني في المغرب القديم

ذ. محمد اللبـار

Mohamed LEBBAR

La maison de romaine

Résumé

Si la domus romaine, avec ses racines étrusques et ses influences grecques et hellénistiques s'est procurée quelques traits de son plan des civilisations antiques du proche orient; en Mauritanie Tangitane la maison romaine - bien distinguée par la beauté de son édifice et la diversité de sa décoration - s'est adaptée avec l'environnement local et a connu plusieurs évolutions architecturales qui ont touché son plan, sa maçonnerie et sa décoration pour qu'elle soit à son possesseur en même temps un refuge, une utile et une jouissance. Ainsi elle était une étape architecturale fort distinguée entre la Domus romaine originelle et la dite maison maure de la période islamique.

The Roman house

Summary

If the Roman Domus, With its Etrusc roots and Greek as Hellenistic influences, has borrowed some features of its plan from ancient Near East civilizations, in Mauritania Tangitana, the Roman house - well distinguished by the beauty of its edifice and the diversity of its decoration - was adjusted to the local environment and saw various architectural evolution, which have affected its plan, its construction and its decoration in order to be for its owner and at the same time a refuge, a utility and a means of joy. Therefore, the roman house in Mauritania Tangitana represented a distinguished architectural stage situated between the original Roman Domus and the so-called Moorish house of the islamic period.

مقدمة

ارتبطت فكرة المسكن بصفة عامة بدور الملجأ والمخبا المؤقت أو الدائم الذي يحمي صاحبه من بعض الأخطار الخارجية التي يمكن أن تهدده ، سواء منها ، الأخطار الطبيعية كالرياح والعواصف والبرد القارس وشدة الحرارة وغيرها ، أو الأخطار الحيوانية التي تمثلها الحيوانات الشرسة بصفة عامة، أو الأخطار البشرية كالنهب والسرقة وما شابه ذلك.

وقد ازدادت أهمية المسكن مع وعي الإنسان أكثر بهذه الأخطار المتنوعة التي تهدده في صحته وحياته وتهدد ممتلكاته الخاصة به. ولذلك سكن الإنسان أول ما سكن في المغارات وبعض الأكواخ قبل أن يسكن الخيام حتى عمل التاريخ والهجرات والحروب والثورات على تطور بعض أنواع السكن⁽¹⁾، كما كان للفلاحة وللاستقرار أكبر الأثر على ذلك التطور. وهكذا عرفت الألف السابعة قبل الميلاد ظهور المنازل المبنية بالتراب المدكوك (Le pisé) (الطابية). وعرفت الألف الرابعة فكرة البناء بالأجر batiment en briques في دور سامراء من عصر ما قبل السلالات في وادي الرافدين⁽²⁾.

ومنذ ذلك التاريخ تشعب بناء المنازل في أرجاء كثيرة من العالم القديم فجاءت البناءات جد متباينة في تصميماتها ومواد بنائها وزخرفتها وطرق استغلالها. وما المنزل الروماني بصفة عامة إلا واحد من هذه الأنواع. ولكن المنزل الروماني نفسه عرف تطورا امتد من بداية روما إلى نهاية الامبراطورية الغربية، كما عرف اختلافا ذا طابع جغرافي من شمال البحر الأبيض المتوسط إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه.

وما المنزل الروماني في المغرب القديم إلا وجه من وجوه بناء المنزل الروماني. فإلى أي حد تطابق المنزل الروماني في المغرب القديم أو اختلف مع المنزل الروماني الأصل؟

أولا: المنزل الروماني الأصل

1- الأصل الإيتروسكري: كان الرومان وحتى القرن الثالث قبل الميلاد يحافظون على بساطة الحياة، فانعكس ذلك على مساكنهم سواء في الأرياف أو في المدن.

-Encyclopedie Grolier, Paris, 1973, T. VII, p.8.

-Ibid, p 14.

وهكذا كانت مساكنهم الريفية — مثلها كمثل مساكن فقراء روما — عبارة عن أكواخ مستديرة تقريبا، صنعت من اللبن ⁽³⁾le Torchis، وسقفت بالقصب le chaume. وبعض الأغصان. هذا وكان بعضها — خاصة في روما — عبارة عن غرفة واحدة أو غرفتين إحداهما فوق الأخرى أو خلفها، يستغل صاحبها الغرفة الأمامية أو السفلية لمباشرة عمله ويسكن في الأخرى، وهذا النوع بدوره بني باللبن والخشب ⁽⁴⁾.

أما أغنياء المدن فقد تعلموا من الإيتروسكيين إقامة منازل خاصة يقوم تصميمها على أساس غرفة واحدة كبيرة أرضية يمكن اعتبارها فناء مسقفا Atrium يجمع في آن واحد عدة مهام: الطبخ والأكل والنوم والتعبيد (aulet) والجلوس والاستقبالات. بسقف هذا الفناء، في أحد الجوانب أو في وسطه، فتحة مربعة الشكل "حلقة" Compluvium تدخل النور والهواء ويخرج عبرها دخان الطبخ والبخور. ولما كانت جنبات هذه الفتحة مائلة نحو الداخل، فقد كانت تسمح لمياه الأمطار أن تتدفق عبرها لتتجمع في حوض صغير حفر تحتها في أرضية الفناء لهذا الغرض يدعى Impluvium. وتكون مساحة Impluvium مساوية لمساحة الفتحة Compluvium ⁽⁵⁾ (انظر التصميم رقم 1).

وقد بنيت هذه المنازل نفسها من طابق واحد جدرانها من اللبن وسقفها من الخشب ⁽⁶⁾. ومع الأيام حافظت الأسرة على الأتريوم كمغرفة للأكل والطبخ وبنيت تدريجيا غرفا صغيرة حول هذا الأتريوم استعملته إما غرفا للنوم Cubiculum، وإما غرفا للجلوس واستقبال الضيوف Tablinum، وإما مستودعات لإقامة العبيد أو خزن المؤونة Cella، وإما أجنحة خاصة لعرض صور الأجداد Ala، (وكانت هذه الظلمرة الأخيرة خاصة بالأسر العريقة) ⁽⁷⁾. ووراء كل ذلك خصصت حديقة عادة ما يكون

³ - اللبن: الطين الممزوج بالقش.

⁴ - نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان، القاهرة، 1973، ج 1، ص 232.

⁵ - Hacquard, Georges, et Autres, Guide romain antique, Classiques Hachette, Paris, 1952, p.28.

⁶ - نصحي، مرجع سابق، ص 231.

⁷ - المرجع السابق، ص 431 - 432.

-Fredouille, Jean-Claude, Dictionnaire de la civilisation romaine, Larousse, Paris, 1983, p. 91.

فيها باب يؤدي إلى شارع فرعي. أما المدخل الرئيسي لهذا السكن فغالبا ما يكون في شارع رئيسي. ويتصل المدخل مع الأترיום عبر سطوان Vestibulum، ويغلق هذا المدخل ببابين ينطويان ويفتحان نحو الداخل⁽⁸⁾. ومع الزمن ظهرت فكرة غرفة الاكل Triclinium. (انظر التصاميم رقم 2-3-4).

أما أرضية هذه المنازل فقد كانت أول الأمر من التراب المدكوك⁽⁹⁾ كما كانت الجدران عارية لا زخارف أو نقوش عليها⁽¹⁰⁾. وعرفت هذه المنازل باسم La Domus.

2- التطور: لما فتح الرومان حوض البحر المتوسط واتصلوا بحضارات شتى من بينها الحضارتان الإغريقية والهلينستية اللتان كان لهما أكبر الأثر على المجالات الحضارية الرومانية بصفة عامة وعلى المجال العمراني بصفة خاصة، انعكس ذلك على المساكن التي يقطنها الفقراء والأغنياء على السواء منذ القرن الثاني قبل الميلاد⁽¹¹⁾.

وهكذا أصبح الفقراء يعيشون - بالمقابل - في وحدات سكنية كبيرة على هيئة عمارات من عدة طوابق⁽¹²⁾ بنيت من الخشب واللبن تدعى Insulae "الجزر"، وكل طابق منها ينقسم إلى مساكن (شقق) Cenacula⁽¹³⁾. وكل شقة تشمل غرفا ضيقة قابلة لكل الاستعمالات⁽¹⁴⁾. أما الطبقة السفلية ففي الغالب الأعم كانت تشغلها الدكاكين Tabernae⁽¹⁵⁾.

⁸ - idem. Ibid. p.194.

⁹ - Alba, A. Rome et le Moyen-age jusqu'en 1328. Collection Isaac. Paris, 1964, p.24.

¹⁰ - Legall et Autres. Rome et les débuts du Moyen-age. Armand Colin, Paris, 1964, p. 23.

¹¹ - Grimal, Pierre. la Civilisation Romaine. Champ-Flammarion, Paris, 2^{me} édition, 1981, p.261.

¹² - IDEM. Ibid.p.266.

¹³ - نصحي. مرجع سابق، ص 428.

¹⁴ - Fredouille, op. cit., p.125 et p.130.

¹⁵ - Encyclopedie Grohier, op.cit., T. VII, p.18.

أما الأغنياء فقد تأثروا مباشرة بالفن المعماري الإغريقي وبنوا منازلهم في المدن على الشكل التالي⁽¹⁶⁾: (انظر التصميم رقم 5):

- حوروا الأتريوم وملحقاته إلى مدخل فاخر ينتهي بقاعة للاستقبال Tablinum، ومن وراء ذلك أقاموا منزلا جديدا داخليا يتكون من عدة غرف فاخرة للأكل Triclinium وقاعة لجلوس الضيوف Oecus. Salon وغرف للنوم وحمام ومطبخ Culina وخزانة Bibliotheca، وكل هذه المرافق تتوزع حول فناء كبير فسيح تشغل وسطه حديقة مكشوفة تحيط بها أروقة Portiques مغطاة بسقف تحمله أعمدة. ويعرف هذا الفناء باسم Le Péristyle. (يتوسط الحديقة أحيانا حوض للماء صغير مهمته سقي الحديقة).

- ومن وراء كل ذلك بنوا رواقا معمدا كذلك يطل على حديقة كبيرة. وصحب هذا التطور المعماري في التصميم تطور فني محسوس تمثل في تزيين هذه المنازل باللوحات والتماثيل والفسيفساء والنقوش البارزة Les bas-reliefs وصباغة الجدران بطلاء أصله مزيج من الجير ومعجون المرمر Le stuc. وبعد كل هذا التطور نجدد الإشارة إلى الملاحظات التالية:

أ - إن La Domus تكون مستطيلة الشكل .

ب - إن تصميمها يكون محوريا Un Plan Axial .

ج - إن النوافذ إلى الخارج تكاد تنعدم، وكانت الدار تدير ظهرها إلى الشارع وضحيجه، وتتفتح نحو الداخل على الفناء مثلها في ذلك كمثل منازل بلاد الرافدين في العهد البابلي العموري⁽¹⁷⁾، بل كمثل منازل هذه المنطقة منذ العهد السومري⁽¹⁸⁾.

د - إن الغرف كلها مفتوحة على الأتريوم أو الفناء ذي الأعمدة، والفكرة في حد ذاتها أصلا فكرة سومرية: ساحة وسطى مكشوفة تطل عليها عدة حجرات⁽¹⁹⁾.

هـ - إن رواق المدخل - السطوان Vestibulum يكون بين الدكاكين.

و - إن المنزل في الحقيقة قد أصبح منزلين أو جناحين يكاد يستقل الواحد منهما عن الآخر: جناح الرجال Andronitis وجناح للنساء "خدر" Gynaecoonitis كما هو

¹⁶ - Alha, op.cit., p. 60.

¹⁷ - مورتكارت، تاريخ الشرق الأدنى القديم، تعريب توفيق سليمان وعلي أبو عساف وقاسم الطوير،

دون مكان الطبع، ودون تاريخ ص 149.

¹⁸ - أو عشي، مصطفى، المدخل لتاريخ الحضارة، فاس 1979-1980، ص 116.

¹⁹ - المرجع السابق.

الشأن في المنزل الإغريقي⁽²⁰⁾. (علما أن هذه الفكرة نفسها قد طبقت في المنزل البابلي العموري: جناح للرجال، وجناح للنساء وجناح للضيوف⁽²¹⁾).
أما في الأرياف فقد طور الأغنياء مساكنهم المتواضعة أصلا إلى مغاني ريفية Villae rusticae شملت ما يلي⁽²²⁾:

- * الأتريوم بحوضه في الوسط .
 - * حوله غرف الخدمات: المطبخ، الأكل، الحمام، مطحنة الحبوب، الفرن،
 - * جناح لتهيئ الخمر وعصر الزيتون،
 - * جناح خاص للسيد في الطابق الأول.
- و خلاصة القول إن المنزل الروماني عموما قد تأثر بالإتروسكيين والإغريق ووصلت إليه بعض التأثيرات الشرقية الميزوبوطامية بالخصوص.
ثانيا: المنزل الروماني في موريطانيا الطنجية:
I المنزل الحضري: نماذج من ويلي:

أكد Thouvenot⁽²³⁾ أن الرومان ما دخلوا موريطانيا الطنجية مع مطلع القرون الميلادي الأول حتى كان المنزل الروماني قد تأثر بالعبادات المعمارية للعالم الهلينستي وأصبح منزلا مزدوجا إغريقيا - لاتانيا.
والمنزل الروماني في موريطانيا الطنجية عموما يمثل المنزل الروماني المتهيلن مكيفا مع البيئة المناخية المحلية بالخصوص⁽²⁴⁾. وما منازل ويلي التي اعتمدت كأمتلة في هذا العرض إلا نماذج من هذا المنزل الروماني المتهيلن.
أ- التصميم : (انظر التصاميم رقم: 6-7-8-9-10-11).

1- الفناء Atrium: عمد المهندسون الرومان إلى التنفن في صياغة الهيكل العام للأتريوم، فطورا استغنوا عن أعمدته بالمرّة وجعلوه مغطى فسمي Atrium Testudinatum؛ وطورا ضيقوا الحلقة Compluvium حتى أصبحت كالكوّة وجعلوها مائلة في اتجاه السطح، فكان Atrium displuviatum؛ وطورا أحسنوا توزيع الأعمدة، فكان Atrium tetrastylum إن كانت أعمدته أربعة كل عمود في ركن كما هو الشأن في

²⁰ - Encyclopedie Grolier, op.cit., T. VII, p.18.

²¹ - Ibid, p.17.

²² - Grimal, op.cit., p.206.

²³ - Thouvenot, Raymond, la maison au cavalier, P.S.A.M., 7, 1945, p.151.

²⁴ - Idem., Ibid, P.152.

المنزل المجاور للمخبزة؛ وكان Atrium corinthien إن كان عدد الأعمدة أكثر من أربعة ولا تحيط إلا بحوض للماء فقط كما هو الشأن في المنزل ذي الأعمدة ومنزل الكلب؛ وكان Pérystyle إذا كان الفناء واسعا وأعمدته تحيط بحوض وسط حديقة مثل منزل فينوس ومنزل أعمال هرقل، أو أعمدته تشمل حوضا بجانبه حديقة للورود، مثال ذلك في منزل الفتى الوسيم maison de L'éphèbe ومنزل فلافيوس جرمانوس. وهذا النوع الأخير لا يشكل شذوذا في وليلي لأن له مثيلا في عدة جهات من العالم الروماني وخاصة في إيطاليا وبالضبط في مدينة Bolsena⁽²⁵⁾. وأحيانا يشمل الأتريوم مذبحا هيكلأ Autel كما هو واضح في منزل الحيوانات المتوحشة La maison des fauves.

2- الأعمدة: اعتمد الرومان على الأساليب الاغريقية في الأعمدة، وهكذا اقتبسوا الأساليب الثلاثة المصنفة حسب اختلاف تيجانها: الدوري Le dorique والإيوني L'ionique، والكورنثي Le Corinthien. (انظر الصورة رقم 1). أما في وليلي فقد استخدم المهندسون الأسلوب الكورنثي بميزة محلية بكثرة، إذ تفننوا في زخرفته أكثر وأضافوه لعمود - ساق - قاعدته أوسع من قمته. أمثلة ذلك نجدها في منزل أعمال هرقل، ومنزل الكلب والمنزل المجاور للمخبزة ومنزل فلافيوس جرمانوس ومنزل الفتى الوسيم.

هذا وبسبب تكيف هذا الأسلوب الكورنثي مع موريطانيا الطنجية يسميه توفونو⁽²⁶⁾: بالشبيه بالكورنثي Le Corinthisant (انظر الصورة رقم 2). كما استعمل المغرب الروماني كذلك أساليب أخرى محرفة عن الكورنثي الأصيل عرفت على سبيل المثال بالمركب⁽²⁷⁾ وبالمضلع⁽²⁸⁾.

أما قواعد الأعمدة فالغالب هو النوع المعروف بالنوع الأتيقي La base Attique، وهو عبارة عن خلخال مزدوج تتوسطه حفرة مقعرة محصورة بين سوارين.

أما عن طول الأعمدة فقد كان المهندسون أحيانا يعتمدون تفاوتها طولا ليجعلوا الطويلة منها من جهة Tablinum ليدخله الكثير من النور، وبذلك يعرف الأتريوم المتفاوت الأعمدة بالأتريوم الرودي Atrium Rhodien كما هو الشأن في

²⁵ - idem, La maison à L'éphèbe, P.S.A.M., 7, 1945, p.117.

²⁶ - Ibid, p.126.

²⁷ - التاج المركب le composite: تاج يجمع الحزونيّات الإيونية مع الأوراق الكورنثية.

²⁸ - التاج المضلع le godronné: تاج نقوشه كورنثية تتخللها صفائر.

منزل الأعمدة ومنزل الفتى الوسيم ومنزل أعمال هرقل، ومنزل الأعراس الفضيفة في بومبي⁽²⁹⁾ la maison des noces d'argent à Pompéi.

3- رواق المدخل: السطوان Vestibulum: في الغالب الأعم كان الفناء يتصل مع الشارع عبر رواق قد يضيق كرواق مدخل دار الفارس ورواق مدخل الدار المجاورة للمخبرة ورواق مدخل دار الفتى الوسيم، أو يتسع كمدخل دار الكلب أو دار أعمال هرقل أو دار الأعمدة. وبيئتئ السطوان المتسع عادة بيبابين: باب للرجالين وهي الصغرى وباب واسعة للراكب أو للحامل لبعض المتاع. إلا أن محور هذا الرواق قد يكون مطابقا لمحور الفناء كما هو الشأن في منزل فينوس، وقد يكون غير مطابق له كما هو الحال في منازل الأعمدة والفارس والفتى الوسيم، ومنزل فلاقيوس جرمانوس ومنزل الحيوانات المتوحشة. وكان المهندس أراد بذلك أن لا يشاهد الأجنبي عن الدار ما بها ومن بها. هذا واستحسن المهندسون أن يكون المدخل الرئيسي للمنزل وسط دكاكين تحتل واجهة الدار وتكون متفاوتة في الطول والعرض أحيانا وتتشابه أحيانا أخرى حسب رقعة الأرض التي أقيم عليها البناء، مثال ذلك في مدخل دار الكلب ودار الفتى الوسيم و la maison à la Disciplina وغيرها.

4- الغرف الرئيسية: Le Tablinum et Le Triclinium: عمد المهندسون في موريطانيا الطنجية إلى دمج غرفة استقبال الضيوف Tablinum مع غرفة الأكل Triclinium، وجعلوها غرفة واحدة تطل على الأتريوم مقابل مدخل الدار في الغالب، مثال ذلك منازل فينوس والكلب والفتى الوسيم والفارس. كما حادوا عن هذه القاعدة أحيانا فكانت هذه الغرفة غير مقابلة للمدخل، بل جعلوها إما عن يساره كدار أعمال هرقل، وإما عن يمينه كدار الأعمدة. وأحيانا أخرى حافظوا على كلا الغرفتين غرفة الضيوف وغرفة الأكل، كلا على حدة مثال ذلك الدار المجاورة للمخبرة.

هذا وغالبا ما يكون لغرفة الأكل Triclinium ثلاثة أبواب: بابان صغيران وباب وسطي كبيرة للخدمات وأحسن نموذج هو دار فينوس ودار الكلب ودار الفتى الوسيم.

5- بقية الغرف: وكانت في معظم الحالات تطل على الأتريوم وتكون قابلة لكافة الاستعمالات: النوم، خزانة، مكتب، خزن المؤونة وغير ذلك وأوضح نموذج هو الدار المجاورة للمخبرة.

6- ملحقات المنزل: كانت منازل الأثرياء الشاسعة تشمل جناحا خاصا للنساء على ما يظهر وآخر للخدمات ، مثال ذلك دار الأعمدة (انظر الصورة رقم 3) ودار الفارس ودار الفتى الوسيم ودار فينوس ودار هرقل. هذا وتوفرت بعض المنازل على حمامات خاصة بها جهز بعضها بفرن أرضي Hypocaust، مثال ذلك دار الفتى الوسيم بحمامها المتوسط الحجم، وحمامات دار هرقل وقصر كورديان ودار فينوس وهي حمامات كبيرة.

ب- البناء:

1- مواد البناء: آمن الرومان ومن قلدوهم في معمارهم أن المهندس الحق هو القادر على التفكير في مواد بناء ملائمة للبيئة التي سيبني فيها وله القدرة على استعمال تلك المواد. بهذا المفهوم تعامل المهندسون في موريطانيا الطنجية مع البناء فاستعملوا أحسن ما وصلت إليه أيديهم، فمثلا استعملوا في ويلي زيادة عن البازالت الذي خصصوه للرحي والمطاحن المواد التالية:

* الكلس: بمختلف أنواعه الموجودة في جبل زرهون وجبل مولاي إدريس وفرطاسة وتوكولوسيدا وعين الشكور، واستعمل كحجارة للبناء ومادة صلبة في التدعيم والعتبات والأعمدة والتيجان⁽³⁰⁾.

* الأجر: وكان استعماله محدودا في ويلي بينما كان سائدا في بناسا مثالا. ولعل ذلك يفسر بسهولة تزويد ويلي بأحجار متنوعة، كما يفسر بصعوبة تزويد بناسا بهذه الأحجار، بناسا الواقعة في الغرب حيث يكثر الطين والروسيوبات الصالحة لصناعة الأجر. ورغم ذلك نعثر في ويلي على استعمال للأجر خاصة في قنوات تصريف المياه.

* القرمود: درج المهندسون على جعل السطوح مائلة في أحد الاتجاهين، وذلك بهدف تقادي تجمع الماء فيها خوفا من إلحاق الضرر بها: - سقف الأتريوم في الغالب مائل نحو الكومبلوفيوم ليصب ماء المطر في الأمبلوفيوم.

- سقف بقية الغرف والأروقة يكون مائلا نحو خارج الدار. ولتسهيل عملية سيلان الماء وجريانه فوق السطوح المائلة، عمدوا إلى تغطيتها بقرمود مزدوج التركيب سموا المنبسط منه Tegulae والمحدب منه Imbrices. وقد دلت البقايا أن هذا القرمود كان يستعمل في منازل الأغنياء كمنزل أعمال

³⁰ - Feray, Guy, et Paskoff, Roland, Volubilis, quelques observations sur l'origine et l'alteration des matériaux de construction, B. A. M., IV, 1960, pp. 481- 487.

هرقل، وفي منازل الطبقة المتوسطة في الحي الغربي من ويلي مثل المنزل المجاور للمخبزة.

الرخام: لم يستعمل مهندسو المنزل الروماني في موريطانيا الطنجية الرخام كمادة للبناء وإن كان الأغنياء قد استعملوا بعض أنواع الرخام في الزخرفة، ولكن على نطاق جد ضيق بسبب ارتفاع أسعارها باعتبارها مادة مستوردة⁽³¹⁾.

2- طرق البناء:

* الأسوار: اعتمد المنزل الروماني في موريطانيا الطنجية — مثله كمثل غيره في بقية العالم الروماني — على بناء الأسوار بطريقة le blocage التي سادت منذ نهاية العهد الجمهوري⁽³²⁾. وتقوم هذه الطريقة على وضع ألواح خشبية متوازية يملء وسطها بأحجار مرصفة مع اسمنت قوي كالجير مثلا. حتى إذا جف الإسمنت وتلاحمت الأحجار، أزيلت الألواح الخشبية، وبلطت الأسوار بعد ذلك من داخل المنزل وخارجه ليزهو منظرها.

* إغلاق الأبواب: اتهم Robert Etienne أهل ويلي بالخوف من السرقة لأنهم أحكموا إغلاق أبواب مساكنهم ودكاكينهم بأحسن الطرق، إذ زيادة عن "المزلاجات les verrous" استعملوا عوارض أفقية barres transversales⁽³³⁾ تمتد في وسط الباب من الداخل وتستند على حيطانه الجانبية. واستنتج أن ذلك كان من باب الإفراط في المحافظة على النفس والنفيس⁽³⁴⁾. وبذلك يوهننا أن ويلي لم تكن آمنة. وأتسائل — في إطار الرد عليه — هل استغنى أصحاب إحدى الحضارات العريقة القديمة أو المعاصرة في شرق المعمور وغربه عن الأبواب وحسن إغلاقها وضمان حراستها؟.

وعلى كل حال دلت الآثار أن دكاكين ويلي كانت تغلق حسب طريقتين:

— طريقة الأخدود الصغير في العتبة وأعلى الباب والذي تدفع فيه ألواح خشبية مستطيلة يحكم إغلاقها بعد اتصالها بباب ثابتة في أحد جوانب المدخل. وهذه

³¹ -Etienne, Robet, le quartier nord-est de Volubilis, éd. Boccard, Paris, 1960, p. 112

³² - Grimal, op. cit. p. 181

³³ Etienne, op.cit., p.114

³⁴ -I dem. , Ibid. p.115.

الطريقة عرفتھا كذلك دكاكين بناسا ودكاكين بومبي من قبل. مثلھا في ويليي دكاكين دار الكلب و La Disciplina.

- طريقة الباب ذات المصراعين La porte a Double vantail ونجدها قليلة في ويليي، مثال ذلك دكاكين واجهة منزل الأعمدة.

تصريف المياه: لم تكن كل الأحواض الموجودة في ويليي بالخصوص تعتمد عل مياه الأمطار فقط، إذ كان بعضها يزود بالماء من خارج الدار عبر أنابيب من الرصاص، مثال ذلك أحواض منزل الفتى الوسيم ودار الكلب. كما أن فائض هذه الأحواض من المياه كان يصرف عبر قنوات باطنية إلى خارج المنازل حيث تأخذ قناة باطنية كبرى إلى الواد. ومهما اختلفت أساليب إقامة هذه الأنابيب والقنوات بالرصاص والأجر وما يقوم مقامهما، فإن الهدف كان واحدا ألا وهو تفادي تسرب الماء إلى أرضية المنازل⁽³⁵⁾، خاصة وأن هذه الأرضية في الحي الشمالي الشرقي كانت من طين ينتفخ بالمياه مما يؤدي إلى الإضرار بالفسيفساء⁽³⁶⁾.

ج - الزخرفة:

كان الجير ومعجون المرمر يكونان وسيلة من وسائل تجميل حيطان المنازل وبعض أعمدتها، إذ يساعد ذلك على تقوية البناء، خاصة وأن هذا النوع من الصباغة لا يسمح بتسرب المياه والرطوبة إلى داخل الأسوار أو الأعمدة المنحوتة من الكلس⁽³⁷⁾. وقد كان هذا المعجون يخلط أحيانا بصباغ حمراء أو خضراء أو صفراء. إلا أن هذه الأصباغ قد زالت مع الأيام وإن وجدت بعض آثارها في منزل الحيوانات المتوحشة.

وإذا استثنينا هذا النوع من الزخرفة الشعبية، وجدنا أن الأغنياء اعتنوا زيادة عن الحيطان والأعمدة المصبوغة والأعمدة المزخرفة التيجان بزخرفة الأرضية نفسها، وخاصة أرضية الفناء وأرضية غرفة الأكل. وقد بلغت زخرفة الفسيفساء La Mosaique ذروتها في الحي الشمالي الشرقي، مثال ذلك أرضية غرفة الأكل بدار هرقل ومعظم غرف منزل فينوس بالخصوص، وأرضية غرفة الأكل بمنزل الفتى الوسيم.

³⁵ - IDEM, Ibid.

³⁶ - Thouvenot, la maison au cavalier, P.S.A.M., 7 op.cit., p.155.

³⁷ - Feray, et Paskoff, op.cit., pp.481 - 487.

II المنزل الريفي: نموذج مغنية باب تسرا: (التصميم رقم 12)

لقد تطور هذا الصنف من المنازل في المغرب على العهد الروماني وقد عثر مؤخرا على نموذج منه تمثله مغنية ريفية بباب تسرا La Villa rurale de Bab Tisra التي شملت أجنحة للسكن ومخازن ومطحنة ومعصرة⁽³⁸⁾. إلا أنه يصعب التخمين — في غياب الأدلة الأركيولوجية — هل تطورت المغنية الريفية في المغرب إلى درجة مغنية النزهة Villa de plaisance كما حدث في إيطاليا مثلا، حيث أقام الأغنياء مغانيهم الخاصة لقضاء أوقات فراغهم في النزهة وما يتبعها . وقد تميزت هذه المغاني بانفتاحها إذ زودت بالنوافذ المطلّة على الخارج⁽³⁹⁾.

خاتمة:

إن المنزل الروماني في موريطانيا الطنجية قد تميز بجمال في البناء يعود فضله إلى نوعية مواد البناء نفسها وإلى تنوع الزخارف من فسيفساء وأصباغ⁽⁴⁰⁾ ، حتى أضحي هذا المنزل ملجأ لصاحبه ومنفعة ومتعة له في آن واحد. وتجدر الإشارة في نهاية المطاف إلى أن المنزل الروماني في موريطانيا الطنجية إذا كان قد استقى جذوره من المنزل الإغريقي الروماني الذي دخل إلى المنطقة مع الاحتلال الروماني ، فإنه قد استمر في المغرب يتطور متأثرا بالبيئة المحلية حتى عرف فيما بعد العهد الروماني باسم المنزل المغربي La Maison Maure⁽⁴¹⁾.

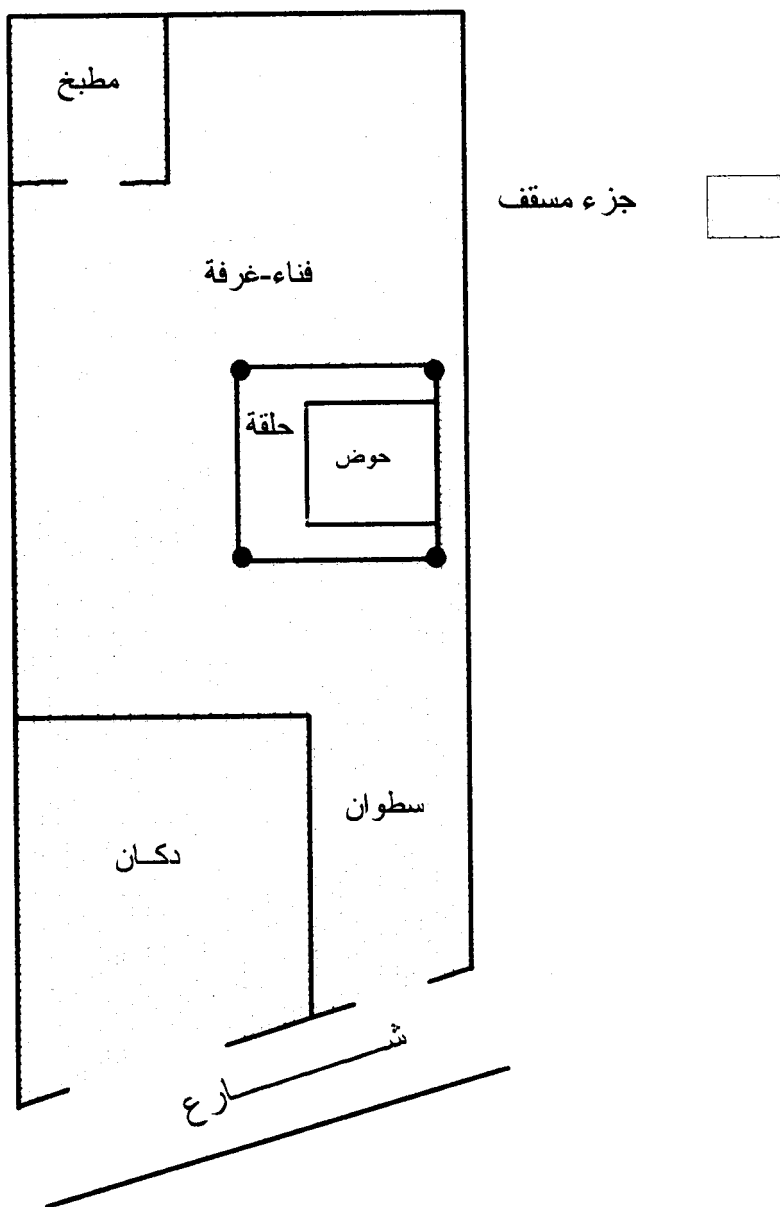
³⁸ -Luquet, Armand. Contribution à l'Atlas archéologique du Maroc. Région de Volubilis,

B.A.M., V, 1964, pp.291-300.

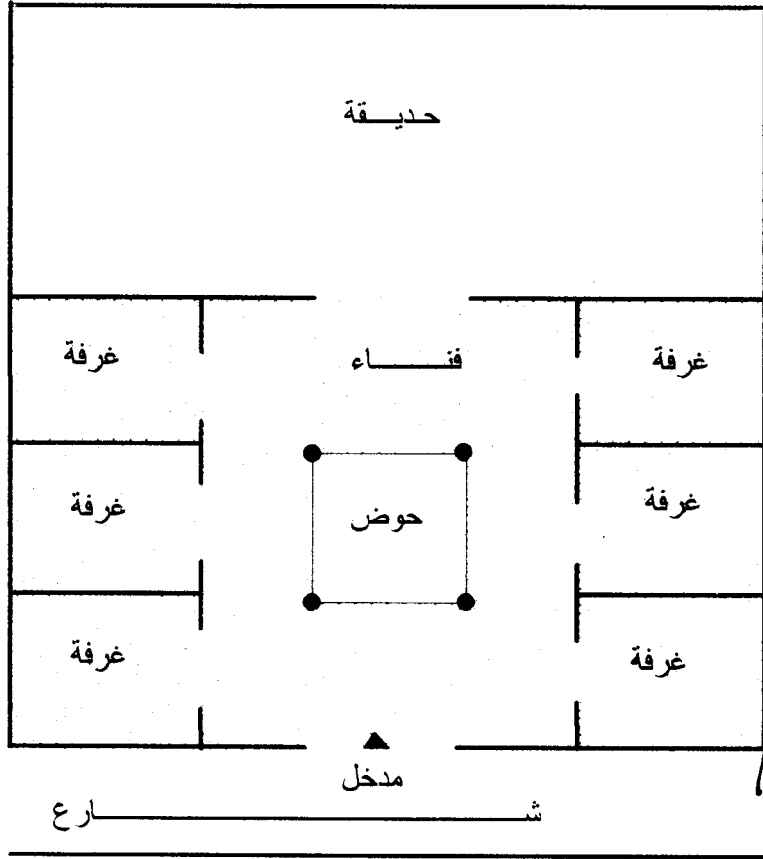
³⁹ - Grimal, op.cit., p.208.

⁴⁰ - Thouvenot, la maison aux travaux d'Hercule, P.S.A.M., 8, 1948, p.100.

⁴¹ - Grimal, op.cit., p.262.

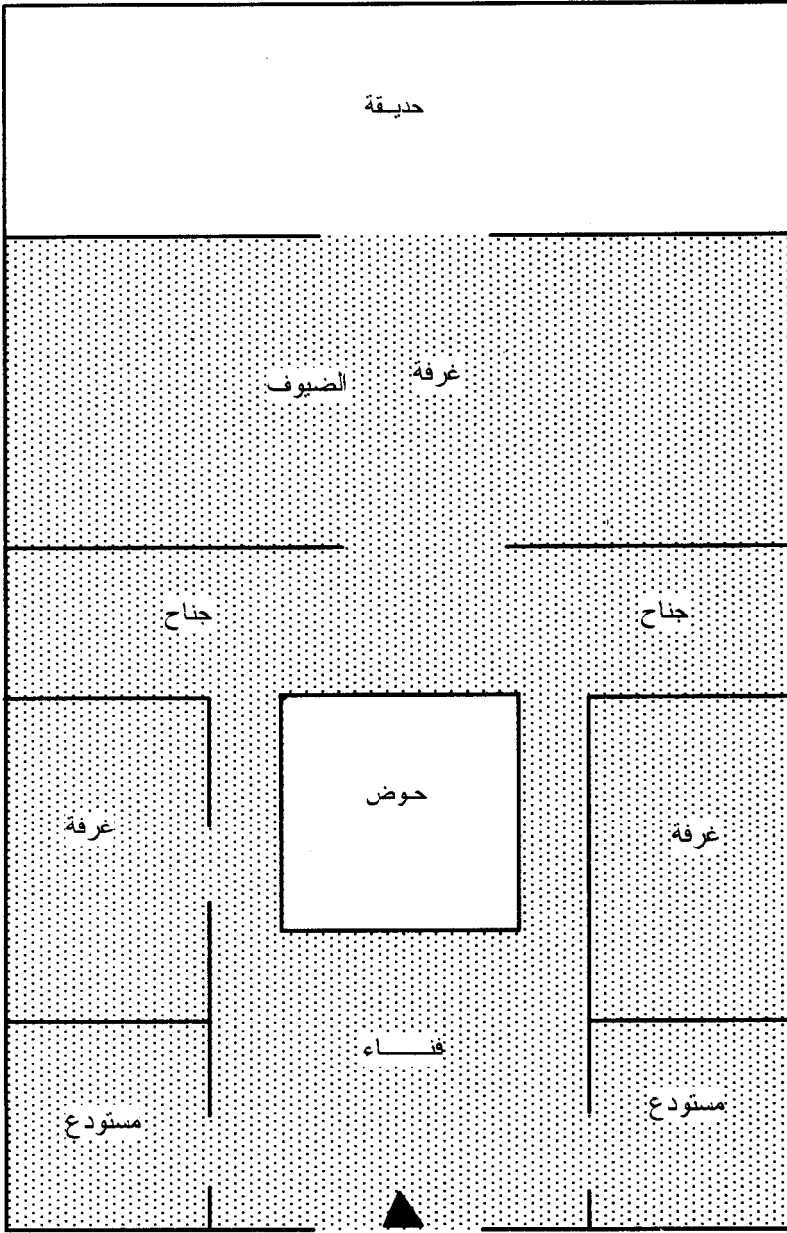


التصميم رقم 2 : منزل من طراز روماني
قبل القرن 3 ق.م



التصميم رقم 3 : منزل روماني في نهاية القرن 3 ق.م

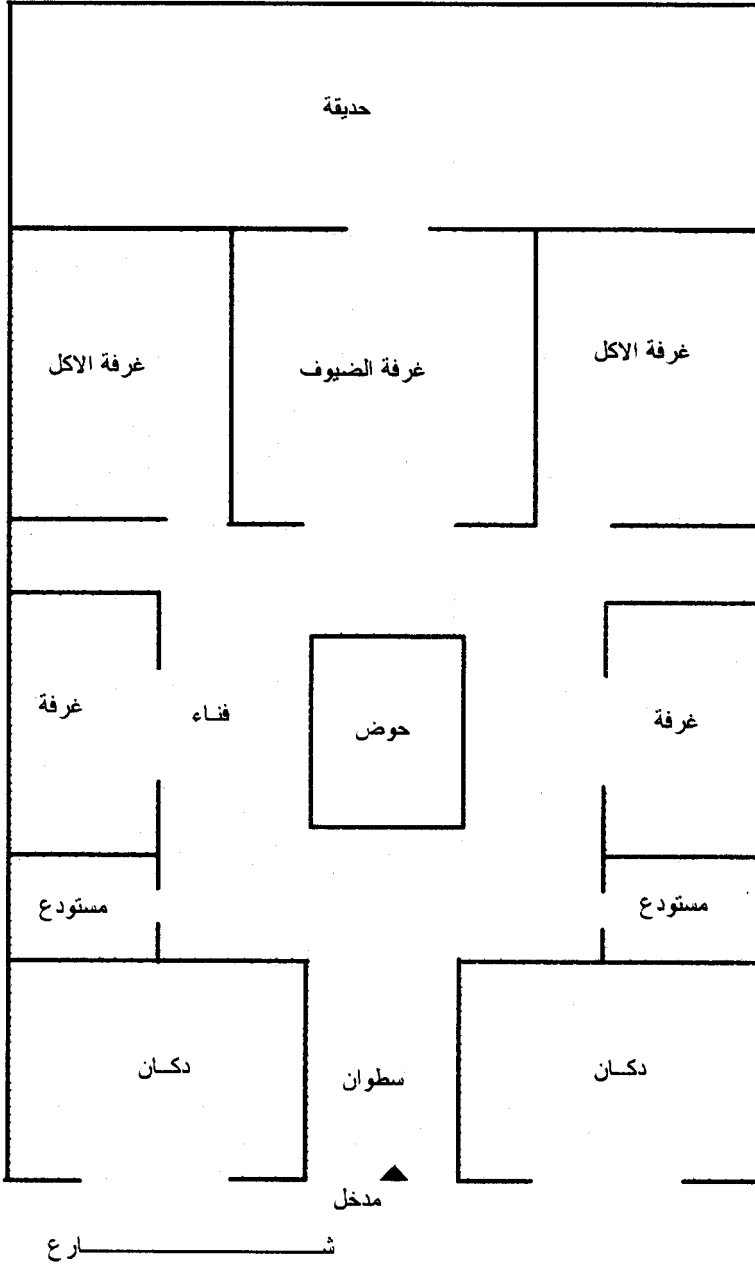
جزء مسقف



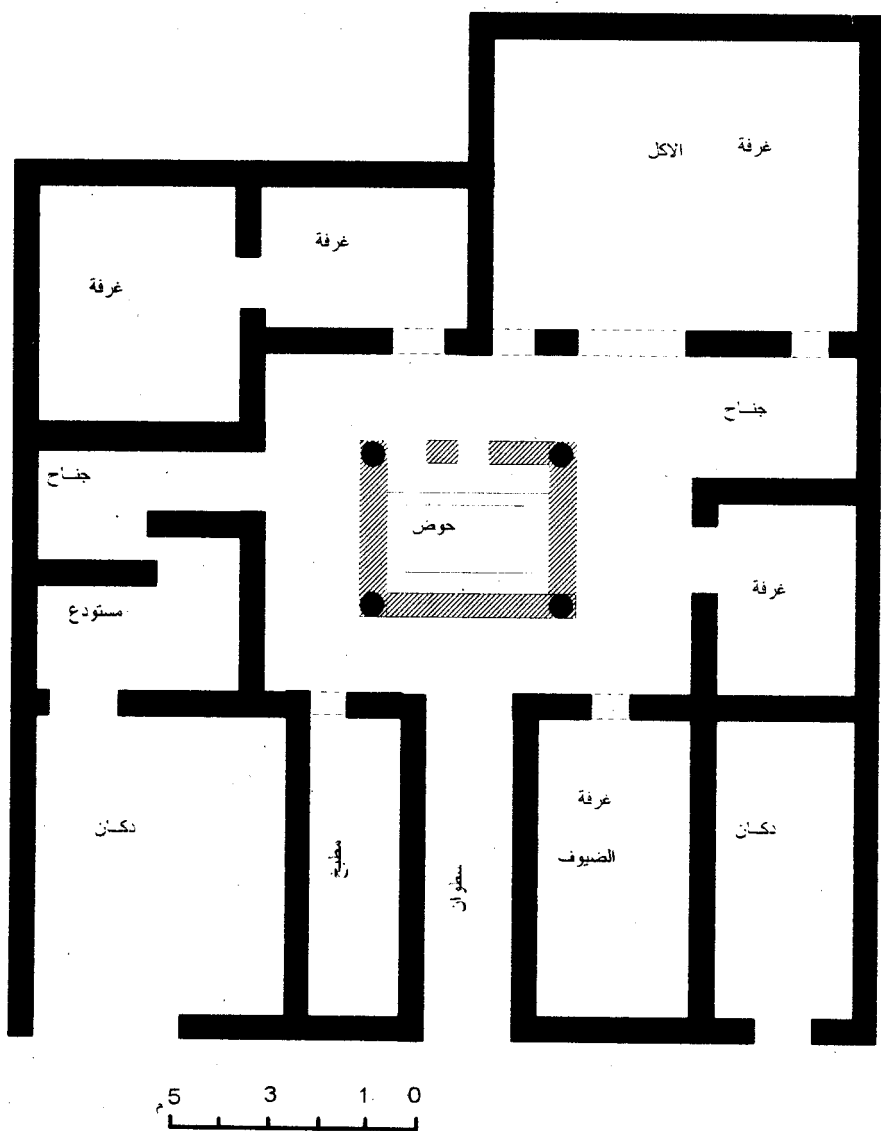
شوارع

التصميم رقم 4 : منزل روماني بفناء، بداية القرن 2 ق.م

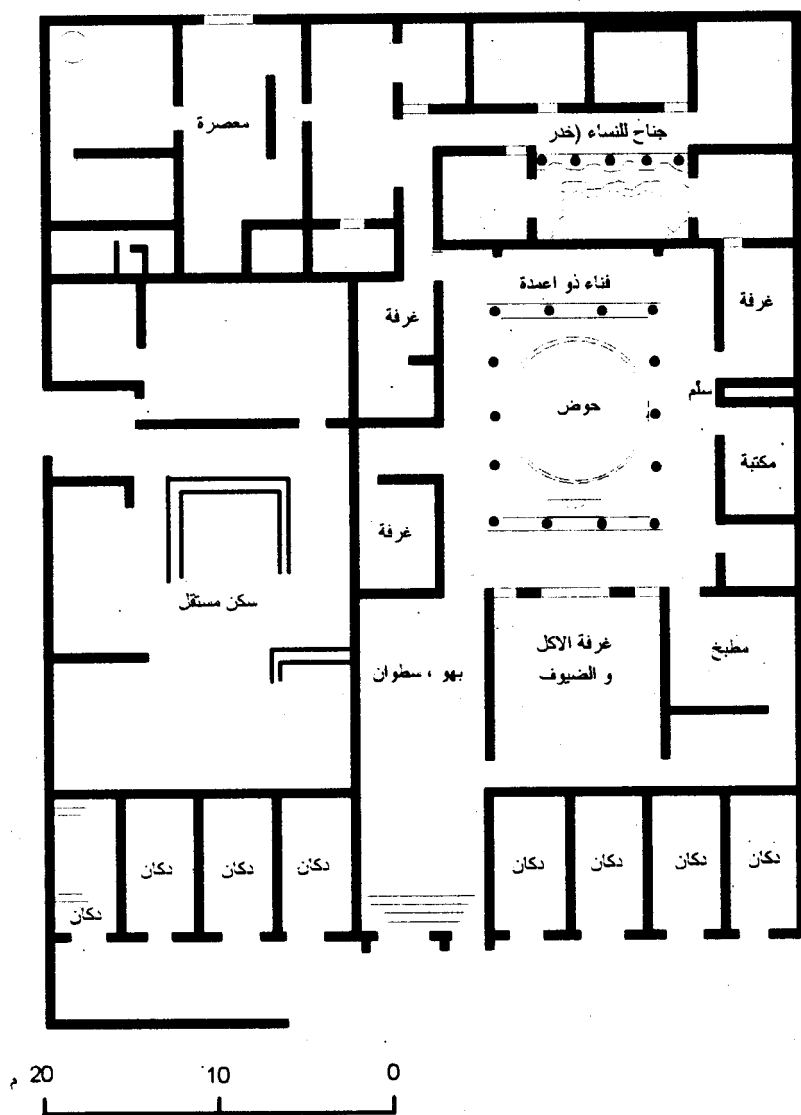
جزء مسقف



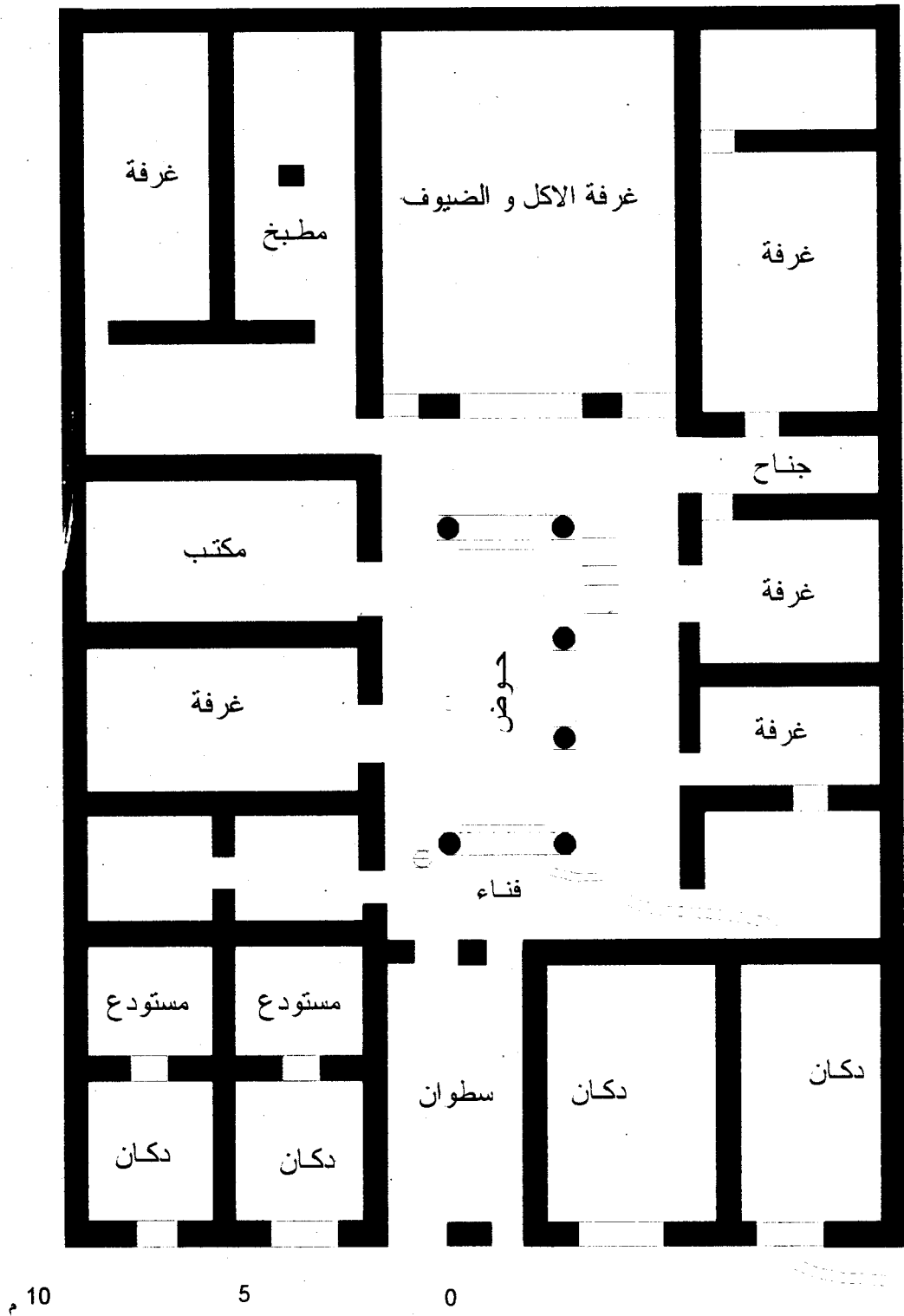
التصميم رقم 5 : تصميم نموذجي لمنزل روماني بفناء،
بداية القرن 2 ق.م



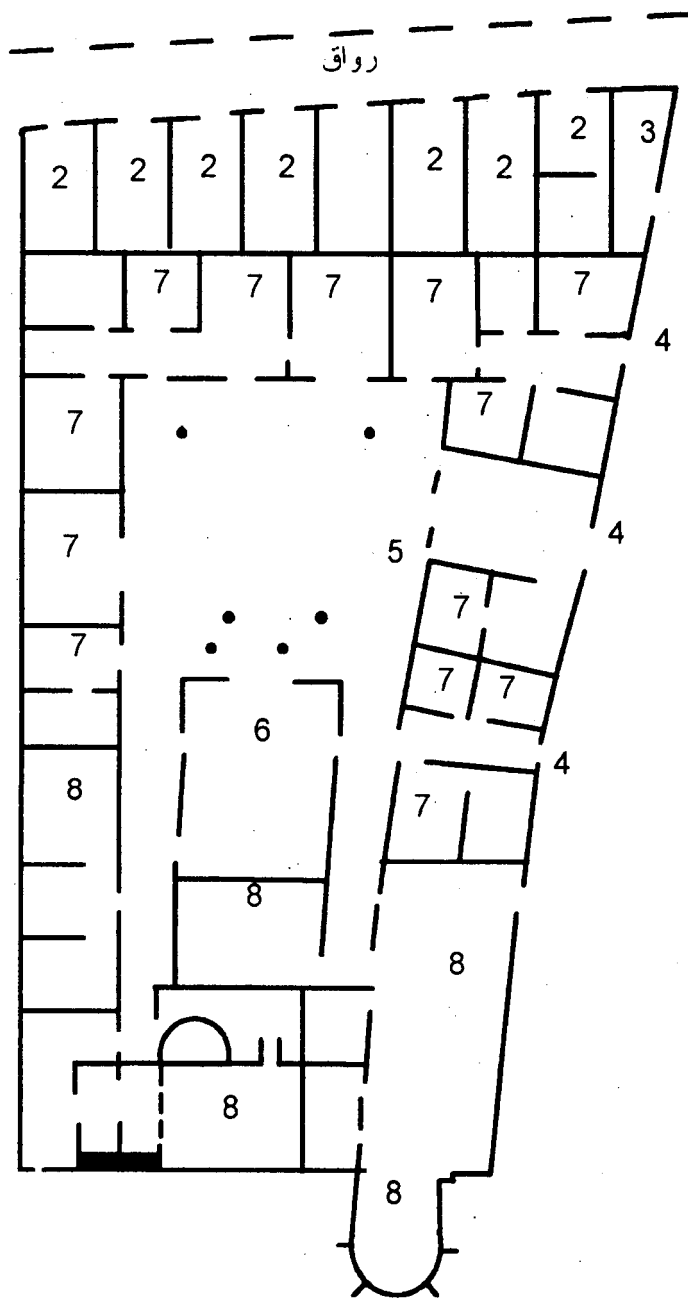
التصميم رقم 700 زل المجاور للمخبزة
مساحته 400 م²



التصميم رقم 8 : منزل الاعمدة مساحته 1800 م²



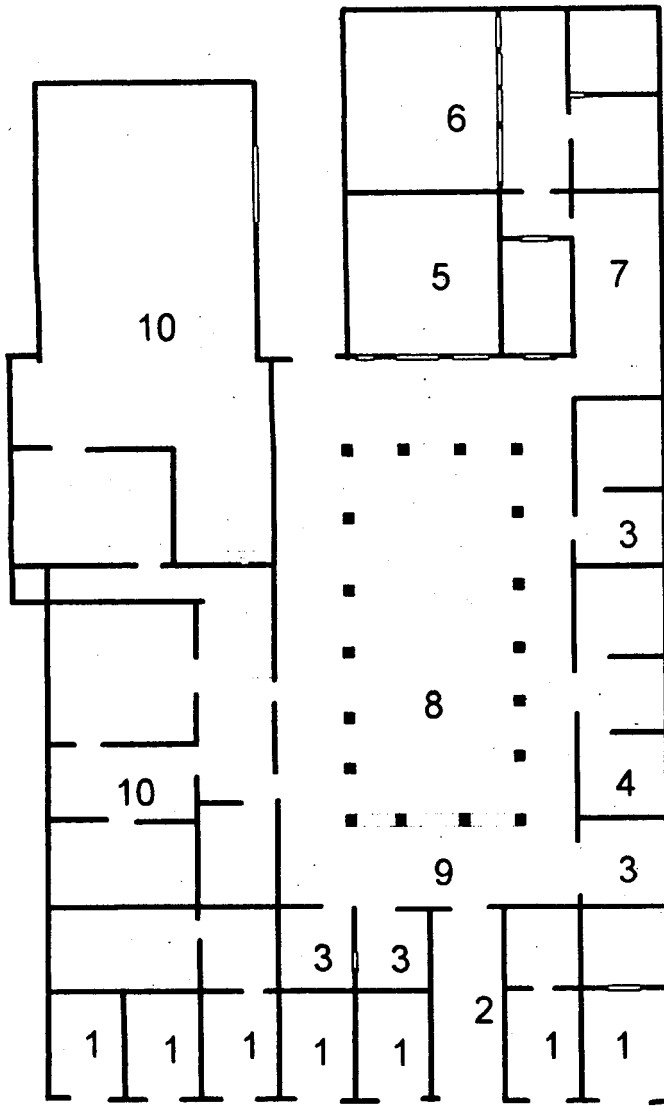
التصميم رقم 9 : منزل الكلب مساحته 700 م²



التصميم رقم 10 : منزل اعمال هرقل مساحته 1600 م²

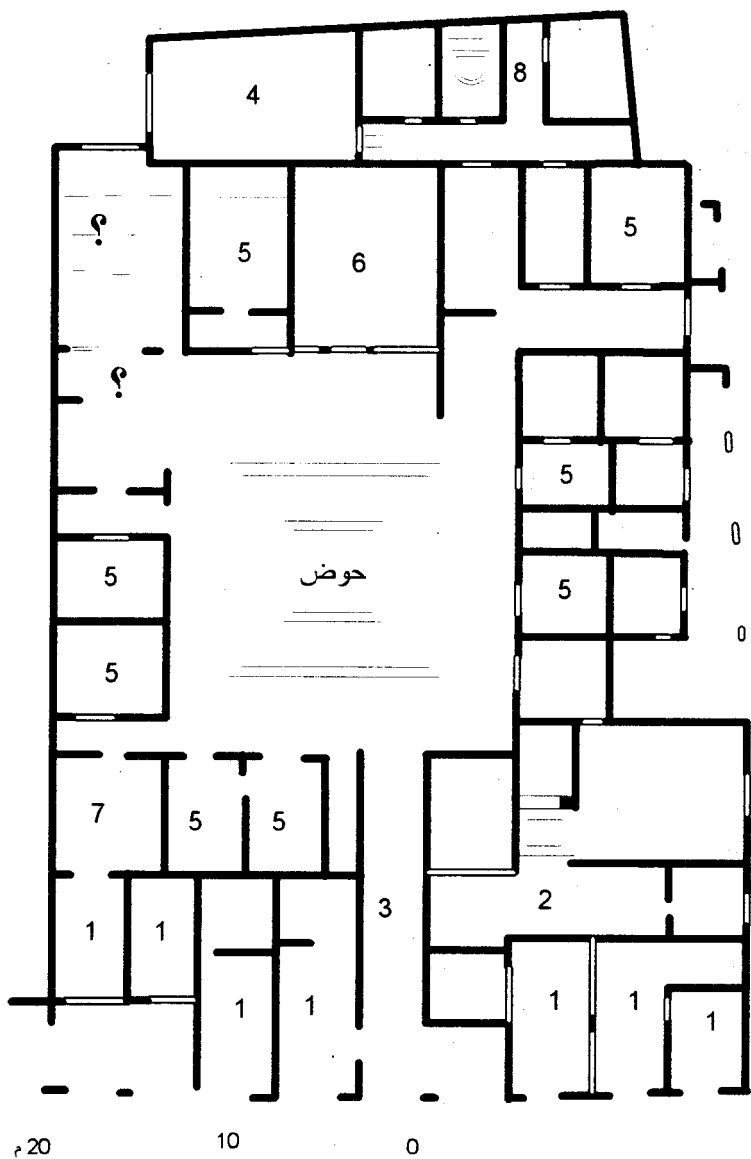
بيانات

- 1 دكاكين
- 2 بهو
- 3 غرف
- 4 حمام
- 5 غرف الاكل و الضيوف
- 6 جناح للنساء (خدر)
- 7 مطبخ
- 8 حوض و حديقة
- 9 فناء ذو اعمدة
- 10 ملحقات (معصرة، مطحنة)



20 10 0 م

التصميم رقم 11 : منزل الفتى الوسيم مساحته 2250 م²



بيانات

1	دكاكين
2	معصرة
3	سطوان
4	اسطبل
5	غرف
6	غرفة الاكل و الضيوف
7	مستودع
8	جناح للنساء (خدر)

التصميم رقم 12 : منزل الفارس مساحته 1700 م